أقصوصة من سرجربت ستين

الحلقة الأخيرة

للأستاذ دريني خشبة

« هل الحياة الحب ؟ أم الحياة العمل »

لقد كانت مفاجأة عجيبة حقاً من تلك الفتاة الجميلة العذراء (ديانا...) حين ذكرت لصديقتها الآنسة تمار كورى أنها متزوجة ! فلم تكن الصديقة الوفية تعرف عن صديقتها إلا أنها تحب الفتى القسيم الوسيم كليف صولوى، وأن الفتى القسيم الوسيم صولوى يحبها، إن لم يكن يتعبدها، وأنه إنما رحل منذ عشر سنوات إلى كندا الانجليزية يلتمس الثراء الضخم والغنى الوافر ليضمن لمعبودته نعيم الخلد بما ضمنت له نعيم الحب، وليهيء لها عيشة رغداً، لا يتلف جمالها عمل، ولا يذهب بروائها عناء. لذلك قالت لصديقتها حينما سألتها سبب هذا الكتمان الطويل إنهما أرادا بذلك أن يضمن أحدهما الآخر أثناء هذا البعاد الطويل

وقد جلست ديانا تشكو لصديقتها ما تحس به من شتى الأحاسيس نحو فتاها صولوى الذى عرفته وأحبته حين الصبا فى شرخه، والشباب فى ميعته، والقلب فى فتوته، وربيع الحياة فى إبانه. فكانت هذه السنوات العشر بما حوّرت وطوّرت، وبدلت وغيرت. فكأنما القلب غير القلب، والسمع غير السمع، والحياة غير الحياة !

ذلك أن الفتاة ديانا، ذات القوام والقد، والجيد والخد، والفم الأنيق والأنف الدقيق، والجمال والفتن... اليتيمة مع كل ذلك، والتي أضفى يتمها على جمالها ظلالاً من السحر العميق اضطرت لأن تبرز إلى ميدان الحياة لتجاهد فى سبيل قوتها بعد إذ ارتحل حبيبها إلى أمريكا بشهر واحد، لأن عمتها التى كانت تكفلها وتكفيها عناء العمل... ماتت بعد هذا الشهر أيضاً ولم تترك لها من حطام الحياة إلا نصيباً نزراً من المال ظل يتسقط من راحتيها اللتين لم يعرفا تمساكا حتى لم يبق منه إلا دريهمات

وساعدتها صديقتها تمار كورى فقدمتها إلى أحد بيوت النشر الانجليزية فربطوا لها راتباً بسيطاً. وكان عملها ثمت أن تقرأ الرسائل الكثيرة المتنافرة ذوات الخطوط المختلطة، التى كان أكثرها أشبه بفرق من راقصات الزنوج يترنحن على القراطيس. ولم تلبث ديانا أن خبرت من الحياة تجاريب لم تعرفها من قبل كان محورها جميعاً المال... المال ! ... المال الذى تدور حوله كواكب الآمال السيارة، والذى بدونه يقف دولاب كل شيء... حتى دولاب الحب، كما بدأت ديانا تعتقد !

لقد كانت تشهد كيف تتم الصفقات فى البيت الذى تعمل فيه، وكيف كان أصحاب العمل يجنون أشهى الثمرات بقليل من الجهد، حتى لا يكاد أحدهم يبذل في سبيل المئات التى يحصل عليها آخر كل سنة بعض ما يبذلها أبسط الموظفين فى الشركة.. من أجل ذلك دأبت ديانا تدخر مبالغ صغيرة من راتبها التافه، حتى إذا اجتمع لديها قدر غير قليل أخبرت صديقتها تمار فعقدت أسبابها بأسباب خبير مالي من رجال الأعمال يدعى لويس كراوفورد، له دراية واسعة بالصيرفة، فنصح للفتاة بالمضاربة فى أحد البيوت المالية المربحة بنصف ما معها، حتى إذا غنمت شيئاً عادت فضاربت بنصف ما تملك... وهكذا... واعتمدت ديانا على الله، ثم على هذه الآمال البراقة التى تولدت فى نفسها مذ وضعت رجليها فى شركة النشر... وضاربت كما أشار المالى لويس. ولشد ما شدهها أن ربحت مبلغاً لم تكن قط تحلم به منذ أن ضيعت مائة الجنيه التى تركتها لها عمتها... ودق قلبها البشائر واتسعت أمامها آفاق الأمانى، واصطبغت أحلامها ببريق الذهب وقويت إرادتها وثبتت عزيمتها، فضاربت بنصف ما اجتمع لها

من المال ، وقد صار شيئاً كثيراً فى حسابها ... وربحت ... وفرحت فرحاً شديداً بهذا الحظ الواتي ... وتعلمت أشياء لم تكن تعرفها ... دروس الحياة وأفانين المال وعجائب العمل ... وضاربت مرة ثالثة ورابعة ... واجتمع فى قبضتها كنز من الذهب رَوَّأ لها الآمال ووسع فى قلبها الأمانى ، حتى لبانت تفكر فى شراء بيت النشر الذى تعمل فيه !

أما كليف صولوى ... الفتى القسيم الوسيم ، ذو العينين الزرقاوين اللتين تختلط زرقتهما خضرة الأطلنطيق الواسع الخضم فقد عمل هو الآخر وجد ، وسعى واجتهد ، واشترى مرجاً واسعاً من مروج كندا الشاسعة ، جلب له قطيعاً من الغنم الأمريكى ذى الصوف الغزير ، وجعل فى الله رجاءه أن يغل له المال الوفير ليبنى لحبيبته ديانا القصور والعلالى

* * *

وتصرمت سنون خمس ؛ وكتب صولوى إلى منية نفسه خطاباً يقول فى شطره : « لم أستطع بعد يا حبيبتى أن أشيد لك القصر الذى حلمنا به ، على رغم جهادى الطويل الشاق ... إن هو إلا مرج شاسع حلو المشب ، لا ينقصه إلا شخصك المعبود ليكون جنة ذات أعناب ! » وتناولت ديانا يراعها وجلست تكتب إلى حبيبها وقد اختلطت فى قلبها دنيا الأطماع بعالم الحب والأحلام : « حبيبى ! لشد ما أود أن أجتاز الأطلنطيق إليك الآن ... الآن ... فى هذه اللحظة ... لأشفى حاجات الفؤاد المعذب ... ولكن اصغ إلى ... ألا نستطيع أن نتلبث هكذا ... كما نحن (1) حلقة أخرى من الزمان ! خمس سنوات أخرَ يا صولوى ، وأعود إليك امرأة ذات مال يا حبيبى ! ألا نحتاج مالاً كثيراً نعمل به فى مرجك الشاسع فيضمن لنا حياة واسعة مخفرجة ، نقضى نصفها كل عام فى انجلترا ونصفها الثانى فى أمريكا ؟ يا حبيبى ! ألا تكون حماقة منا أن نهجر الطريق الذى يؤدى إلى أبدع الأمانى بعد أن قطعنا نصفه ...؟ » وعند ما ذهبت لتلقى بالخطاب فى صندوق البريد ، ذرفت دموعاً غزيرة ، وتجاوب صدى وقع الخطاب فى الصندوق فى فراغ قلبها الذى ما يزال حب صولوى يملأه ...

وكتب إليها صاحبها يقول : « أختاه ! لقد علمتنا السنوات الخمس الماضية دروساً صارمة فى فن العيش ... علمتنا الأنفة والكبرياء ... إننا الآن فى مباراة عقيمة ... وكل منا يشتهى أن يكون السابق المجلى ... لقد نسيت أن أذكر لك فى خطابى السابق أن المرج الذى أُنَضِّره لك ليكون جنتك الفيحاء ، هو مرج من أبناء الطبيعة الذين لم تلفهم المدنية ، ولم تفسد سليقتهم الحضارة ذات البهارج ... ولو أجبتِ وافقت لصار بك الفردوس الموعود ... ألا ما أروع السكون هنا ! لا ضجيج كما هو عندكم فى لندن ... على كل سأبذل جهدى فأبتنى القصر المشيد الذى يليق بأبهة مليكتى ... ! »

وجازفت ديانا فاشترت شركة النشر ؛ وقد أحدثت هذه الخطوة الجريئة انقلاباً قوياً فى حياتها ، فقد باتت لا تفكر إلا فى تنمية مواردها ، ومضاعفة النجاح الذى كان لهذه الشركة قبل أن تحمل الاسم الجميل الجديد : (هـ . بلَنْدِل) وقد اتسقت أعمال الشركة فعلا ، واضطرد تقدمها ، وبعث كل ذلك فى نفس ديانا كثيراً من الزهو وكثيراً من الخيلاء ، وكثيراً من هذا الشعور الذى هو نتيجة نجاح الطفرة وأثر من آثارها

* * *

لذلك كانت مفاجأة غريبة ألا تعلم تمار كورى ، أعز صديقات ديانا وأوفاهن ، إلا ذلك اليوم ، بزواج صديقتها من حبيبها كليف صولوى ، وهو موشك أن يصل من كندا ، بل هو واصل منها غداً بعد غياب عشر سنوات

ما كان أطولها ليلة مملوءة بالهواجس ، مزدحمة بالوساوس ، عاجَّة بالأفكار ، هذه الليلة التى تقلبت فيها ديانا على فراش القلق وما كان إلا من ديباج ... وما كان أشقاها بهذا الشوك الذى يخز جسمها الغض ، وما ليست إلا شفا أنعم من خدود الورد ..

لقد باتت تفكر فى الـ (هـ . بلندل) وأولئك العمال الكثيرين الذين أصبحت هي ضرورة لهم ، وهؤلاء العملاء الذين يصبون أنهار الذهب فى خزائنها ... وتلك الأبهة وهذه العظمة ... والحياة المالية الأرستقراطية المحفوفة بالوقار ... ثم تنتقل من كل ذلك إلى هذا المنفى السحيق وراء الأطلنطيق فى ذاك المرج النائى المهجور ... ولكنها كذلك كانت تفكر فى حبيبها صولوى القسيم الوسيم فتذكر أحلام الصبا وأفاويق الشباب وموسيقى القبل ، وتذكر أيضاً أنه زوجها الذى ارتبطت به برباط السماء العلوى المقدس ... وتذكر فوق ذلك جميعاً أنها لا تستطيع الحياة بغير صولوى كما لا يستطيع صولوى الحياة بدونها ... وهنا تتحير وترتبك ، وتسبح فى بحر لجى تتقاذفها أمواجه فتعلو بها وتسفل وتنظر إلى رأسها فى المرآة فلشد ما تذهل وتراع ! لقد رأت

obeikandl.com

أولى شعراتها البيض نذيراً صارخاً من مارد الشيب الجبار يؤذن بخاتمة الثلاثين ... فترعج وتنزعج ... وترسل فى المرآة آهة تغطيها بضبابة تستر ما افتر باسماً ساخراً من شيبها !.

ولبثت ترهف أذنيها لرنين جرس الباب ... فقد دنا موعد وصول صولوى ... ولم تشأ أن تنزع الشعرة البيضاء ، بل آثرت أن تتركها حيث هى ليشهد حبيبها حقيقة ما كان ... وهى بذلك قد سخرت من نذير الشيب الذى شاء أن يسخر هو منها ...

ورنّ الجرس ... وأهرعت إلى الباب فتلقت حبيبها ملء ذراعيها ، وضمها هو إلى صدره الواسع الرحب بذراعين مفتولتين جبارتين ، لم تكونا له قبل أن يرتحل إلى كندا ، ثم انحنى على الفم الرقيق المرتجف يقبله ، وما كاد يفعل حتى قاومت ديانا ... وجاهدت حتى انفلتت من صولوى ، وفرت منه إلى ركن الردهة القصى ! ووقفت ثمة تحدجه ، وتقلب فيه عينيها الثاقبتين !

لقد كبر صولوى وتغيرت معالم شبابه ! ما هذا الصدر العظيم والعضل المكتنز والوجه ذو الأسارير ؟ وعيناه ؟ أين زرقة السماء التى كانت تختلط بخضرة الأطلنطيق ؟ وأين هذا الكوكب الدرى الذى كان يتألق فى أغوارهما فيرسل منهما بريقاً أى بريق ؟ وما هـذه الملابس الغليظة الخشنة والحقائب الثلاث البالية ؟ وما هذه السحب الكثيفة من دخان التبغ يرسلها صولوى فيتلف بها سماء الحب القديم الصافية ... لقد وقف كليف المسكين ، وقد أشعل لفافته ينفث الدخان من فمه ! فيتلف على ديانا أخيلتها ، ويمسخ أمانيها ...

ثم انفجرت ضاحكة وانفجر ضاحكا

— أوه ! حبيبي ! هلم ! أدخل أولا ! لقد شبت !

— أجل ياحبيبتى ! هيّا ... لقد أحضرت كنوزى لأضعها بين يديك ... »

وانحنى صولوى يحمل الحقيبتين الكبريين ، وحملت ديانا الحقيبة الصغرى ، حتى إذا بلغت غرفتها الفخمة التى تدير منها أعمال شركتها ، لم يلبث كليف أن قال :

— حبيبتى ، إنى لا أطيق أن أنظر إلى هـذه الغرفة مالم تكونى أنتِ فيها ! »

وفهمت ديانا ما يقصد صولوى أن يقول ، فقالت له ...

— لا عليك ، فسنصعد سوية إلى الطابق العلوى يحملنا ؛ إذ لا أحد معنا يحمل هذه الحقائب المثقلة عنا ...

ومضيا فى سبيلهما صعدا ، وظلت ديانا تنظر إلى بعلها الذى كان يبدو كأنما تقدمت به السن عشراً على عمره ، بينما كانت تبدو هى ، برغم الشعرة البيضاء ، كأنما تأخرت بها السن عشراً عن عمرها ... وظلت كذلك تفكر فيما قال عن غرفة إدارتها .. لقد أحست أن روحه نفرت من هذه الغرفة التى بعثت الكبرياء والعجب فى نفسها ، وهذا أقل ماتفعله فترة من الزمان قدرها عشر سنوات

— هذه غرفة الخادمة ياصولوى ... لقد ذهبت لتمضى الليلة عند أهلها

وفتحت باب الغرفة فدهش صولوى لما فيها من أثاث ورياش ... وعجب كيف يغطى سرير خادمة هذا اللحاف الإيطالى الوشى ، وكيف تزين أركان غرفتها هذه الأصص الفاخرة من السوسن المصنوع الجميل !

— أما تلك فغرفتى ... أنظر ... أتراها جميلة ؟

ونظر صولوى فذهل ... وسرعان ما ذكر أيامه القريبة برجه القفر فى فلوات كندا ، وكوخه الموحش الخشن ذا السرير الحديدى الصدئ ، والأرائك البالية ، التى ظل يتقلب فوقها طوال عشر سنوات ، لايفكر فى زخرفتها وتوشيتها ! ووضع يديه فى جيبيه خاشعاً وقال :

— أحسب أنه آن لدينا أن نستأجر خصاً فى ريف لندن فنعيش فيه شهراً قبل أن نحضر إلى هنا ... ألا توافقين ؟ »

وفهمت ماريد أن يقول هذه المرة أيضاً فقالت : « ما أجمل أن يكون هذا ... ! »

وحان موعد العشاء ، فذهبت به إلى حجرة الطعام الغنية الحافلة ، حيث راعته المائدة النظيفة الناصعة ، التى صفت فوقها الأطباق والأكواب وكئوس الخمر ، وقوارير البلور ، وملاعق الفضة ذوات الطنين وذوات الرنين ... وأكلا ... ودار بينهما هذا الحديث :

— لن تمضى خمس سنوات يا ديانا حتى يكون لك القصر الذى حلمنا به فى مرجنا الواسع الجميل ... لقد اشتريت لك حصاناً ياله من حصان ... وأسميته هصار ... وستروقك منه قوائمه البيض التى تشبه جوريات الربيع ... إننى إذن أستطيع أن أعين وكيلا عنى فنقضى نصف كل سنة فى انجلترا كما أشرت ! »

وكانت صدمة لروح ديانا هذه السنوات الخمس ... هذه الحلقة

الأخرى من الزمان الطويل اللانهائي ... وله ؟ أليست هي الآن في رغد من العيش؟ ما الذي يقسرها على ذلك المنفى البعيد الموحش الخشن ؟ إذن ، فلتصارحه !

وروت ديانا قصتها ، وكادت تجلس كأفروديت الساحرة على عرش جمالها ، ثم طلبت إليه ، أو أومأت إليه ، أنه ينبغي أن يهجر مرجه ليعمل معها في ال (ه . بلندل) : فقال صولوى واجماً : « سأنظر في هذا ... سأنظر ! » ثم عبس وبسر ، وغاب من عينيه هذا الملاك الكريم الحالم ، وأطل مكانه شيطان رجيم مارد ، ثم قال : « طبعاً ... إنك لن تتركي كل هـذه الدنيا التي تلف حواليك لتذهبي معي إلى أمريكا فتبني لي عشاً هناك ... ! »
وكانت روح الازدراء تتدفق في لهجته المرة ، فروعت ديانا وقالت تجيبه : «ماذا ياصولوى؟ إهدأ ماذا أصابك ؟ إني لم أرد أن أسوءك ؟»
لكن صولوى لم يهدأ ، بل زادت ثورته ، واشتدت حدته ، فقالت ديانا : « تالله يا صولوى إن كل هذه الدنيا التي تحيط بي لا تهمني ... أنظر ... أترى هذه الصورة الصينية الفاتنة ؟ إنها أثر قيم اشتريته بالمئات ... وصديقتي تام تقدر عمرها بالقرون ... أنظر ... » ثم قذفت بالصورة إلى المدفأ فذهبت بها ألسن النيران

— لا أدري والله ماذا تعنين بهذا ؟

— أعني أنني لا تهمني زخارف الحياة كما زعمت !

— إذن ماذا يهمك ؟

— يهمني هذا العمل العتيد الذي بذلت له جهدي وقواي .. أل (ه . بلندل) ياصولوى ! كيف أدعه يتلاشى ! ؟ »

— غير أنك كنت تعلمين أنني قادم إليك !

— أجل ، كنت أعلم هذا ، بيد أنك تقول إنك في حاجة إلى خمس سنوات أخر ، إلى حلقة ثالثة لتضمن لنا عيشاً هانئاً ، وكيف ؟ كم بقي من العمر لنقضى منه خمس سنوات تضيع عبثاً وعناء ؟ وهذا العمل العظيم الذي شدته ؟ كيف يضيع هو أيضاً عبثا ؟ بل أقيم أنا هنا ، لأنني أصبحت ضرورة لحياة كثيرين ، أما هناك ، أما في المرج البعيد النائي ، فإنني أكون عبثاً عليك وعلى نفسي، وقد تقتلني الوحشة والركود ياصولوى ! ماذا أكون هنالك ؟ ماذا أعمل وقد تعودت العمل ؟ أأكون متعة فقط ؟

— لا.لا رأيت في حياتك مكروهاً كهذا المكروه ! وكيف تكونين متعة لراعي قطعان !

— خمس سنوات أخر ؟ ثم ماذا ؟ ما الحياة ياصولوى حتى تريدها أن تحتمل كل هذا ؟ لقد علمتنا الحياة فنونها القاسيات .. لقد علمتنا أن ننظر إليها بعين غير العين التي تعودناها في الصبا .. لقد كشفت لنا عن المعميات يا حبيبي ! لقد وضحت لنا حقائقها بقدر ما غاضت أحاسيسها وترهاتها ! »

— وما هي هذه الحقائق بالله عليك ! ؟

— هي الصراحة والجد ، والجهاد والعمل ، والتحصيل الذي يضمن للانسان حياة طيبة موفورة قليلة البؤوس ، حياة كريمة تتفق وكبرياء المرء ، يرضى بها عقله ، كما يستريح إليها جسمه ! »

— وإذا عرضت عليك هذه الحياة ، ولكن في مرج بكندا فلم ترفضين ؟

— لشد ما يعزب عنك ما أريد ياصولوى ! إن المادة لا تهمني إلى هذا الحد ، ولكن يهمني ألا تتعذب روحي في هذا الركن من أركان الدنيا ... أنا لم أتعود هذا اللون من الحياة الذي تريده لي يا حبيبي ، وقد أحتمله لوقت قصير ، بيد أنه لا جرم أنني سأضيق به ، وعندها يُقضى على كل شيء ... حتى على حبنا !

— لا تحدثني عن حبنا أرجوك ! إنني أرى ما وراء الأكمة ! إني أرى ماذا تضمرين ! بل كوني صريحة ... ماذا يرضيك بعد هذا ... ؟

— ولم لا أبقى أنا حيث أنا الآن حتى تشيد قصرك وتعد المدة لحياتنا المنشودة ، وأستطيع بذلك أن أدير أعمالي الواسعة هنا ، ثم نلتقي بعد أية فترة من الزمان ... بعد عام أو عامين أو أكثر أو أقل ... ؟

— إذن تريدي أن تقصريني على خطتك دائماً ... توجهينني حيثما تريدين وكيفما تشائين ... لا ... لقد تكلمت عن الوحشة والوحدة فيما مضى وفيما خفت أن يأتي ... إذن ... أنا لا أربطك

— ثم ... ؟

— ثم لا شيء ... إنك إذا استعملت أحداً في عمل لك ولم يؤده لك حسب هويتك استغنيت عنه واستعملت غيره مكانه ، أليس كذلك ؟

ومرت قشعريرة من الذعر في جسم ديانا ، وبدا الارتباك في محياها ، فلم يعبأ صولوى وقال متماً حديثه : « أنت تفضلين عملك المالي على أن تكوني زوجة لرجل راع صاحب قطعان في

كندا ، أليس كذلك ؟ لا بأس ، فزوجة الراعى لن يكون لديها وقت طويل للأعمال المالية ...

— هل تريد أن تجعلنى أفهم أنك قد عولت على الاستعانة بامرأة سواى ؟

— لقد أخلصت لك سنوات عشرا فى جميع أمرى ... ولشد ما آسف على هذا البله الذى حصل منى !

— صولوى !

— لا ... بل لا بد من إنقاذك من هذا الغل الذى وضعته بإخلاصى حول عنقك ... فلا تبتئسى ولا تحزنى ... لا بد أن يتبدل الأمر غير الأمر !

— بل أنت تحب امرأة أخرى !

— ولم لا ؟ ... على الأقل امرأة تعنى بشأنى ... لقد أخلصت لى ، وصدقتنى الحب .. فَرِّىْ لنفسك فقد صرحت لك !

— إنك تعنى الطلاق .. مضحك .. مضحك جداً ياصولوى !

— عرفت إذن ! لا خير ! فلقد أخطأنا حينما كنا صغيرين فلم لا نتدارك خطايانا وقد شبينا ... إسمعى يا ديانا ينبغى أن أذهب الآن ... سأنزل فى فندق ، وسأخبرك عن اسمه بعد ، وإذا احتجتك فسأدعوك فى التلفون ...

— صولوى ... صولوى ... !

* * *

وفى اليوم التالى لقيت صديقتها تمار كورى ، فلما سألتها عما كان قالت لها ديانا : إنتهى كل شىء ، حيث كان ينبغى أن يبدأ كل شىء !

— ماذا تعنين ؟ أتقصدين أنك قذفت به من حالق بعد أن انتظرته كل هذه السنوات العشر ؟

— بل هو قد قذفنى من حالق ياأختاه ! لقد ظهر أننى كنت كَلاًّ عليه ... أليس هذا عجيباً ؟

— أكبر ظنى أن هذا كان نتيجةً لخطئك ؟ ماذا قلت له ؟

— قلت له إننى لا أستطيع أن أهجر عملى هنا فى الـ (هـ . بلندل) لأعيش فى قفار كندا ... ماذا كنت أقول له غير هذا ؟ أذلك يعنى أن حبى له قد نقص ؟

— فو ... !! يابلهاء ! عقل هذه الحماقة يفلت من يديك كليف ؟ ياله من كنز ؟ ما الذى عوقك كل هذه السنين الطوال إن لم يكن هو حبك لصولوى ؟ وما الذى عوقه هو الآخر ؟ ما الذى جاء به من كندا ؟ لقد كان لك فى لويس كرا وفورد ، أوفى الشاب ستيفن ، خير زواج لو أردت ذلك منذ سنين ، فما الذى حال بينك وبينهما ؟ أليس هو حبك وجميل وفائك لصولوى ؟ والآن ؟ أتدعينه يفر منك هكذا ؟ يابلهاء ! ياحمقاء !

— ياأختاه فكرى قليلا فيما عسى أن تكون حياتى فى كندا بعد هذه السنين العشر الحافلة فى لندن الصاخبة ... سنوات عشر ياتام ! كلها رجهاد ... كلها قتال ... كلها حرب على الحياة !

— حرب ! إى والله ! الحرب التى تتعشقين ! أنت لاتهوين سواها ! الحرب التى كوَّنت لك الـ (هـ . بلندل !) أليس كذلك ؟ وم كونت لك هذه الحرب أعمالك الباهرة ؟ من دريهمات أريتها لى يوم لقيتنى قبل أن تلتحق بعملك الذى در عليك أخلاف الرزق فأعماك !! إنك من أجل الـ (هـ . بلندل) ترفضين ماعرضه عليك كليف من السعادة فى أكناف مرجه بكندا ، وقد علمت أنه عمل أبهر من عملك أضعافاً مضاعفة ... الـ (هـ . بلندل !) هذه اللعبة ! بل هو الفتى الخبيث ستيفن الذى فتنك ، والذى تظنين أنه يضمن لك حياة الخلد فى باحات لندن ! ياديانا ! لقد عرفت ستيفن قبل أن يعرفك فاحذرى ... إنه يصبو إلى ثروتك ليعتصرها ثم يقذف بك ... ثم لا يكون الـ (هـ . بلندل) بتلك انجلترا بعد ... ؟

— ليس ما تقولين حقاً يا تام ! ...

— شـو ... دعينى أتم حديثى ... إنك لاهم لك إلا الحرب والقتال ... حتى أصدقاءك تحاربينهم ... حتى الرجل الذى أحببته وأحبك فأخلص لك الحب ... بل هناك حد إذا وصلت إليه الكبرياء انقلبت فصارت غفلة وحماقة ... ولقد وصلت إلى هذا الحد بإذن الله !

— تعنين أنه ينبغى أن أذهب فأنتظر السعادة فى قفار كندا بعد خمس سنوات طوال يبنى لى بعدها صولوى بيتاً يضمنى ويؤوى أبنائى ؟ ...

— لابد أن يصل كليف إلى كل مطمحه يوماً ما ... ولكن لا تنسى خطاباته إليك ، فلقد شهدت أكثرها ... لا تنسى أنه دعاك إلى كندا قبل خمس سنوات فأبيت ، فوافقك ، فلم لا توافقين

اليوم ...؟ ثقي أن كل حرب إلى نهاية ، ولقد حاربت بما فيه الكفاية ... واعلمي أن ما أنت مقبلة عليه لن يحيق شره إلا بك !

— ماذا تعنين ؟

— أعني أن الكبرياء التي تحسبينها لك الآن ستكون له .. أعني أنه هو الذي سيرفضك فيقف مكانك وتقفين مكانه ، وتنعكس الآية ، ويصعب عليك إصلاح الحال !

— وكيف وقد انتهى كل شيء يا تام ؟

— بل لم ينته كل شيء يا أختاه ... المرأة التي عركت الحياة لن تفقد وسيلة لبلوغ مآربها ... وكيمياء الحظ ماهرة صناع

* * *

وجلست ديانا في غرفة إدارة ال(هـ . بلندل) مضطربة كاسفة البال ... وطفقت تذكر ما كان من حبها لصولوى ، وإخلاصها له طيلة هذا الزمان ، ثم ما كان من لقائه هذا اللقاء المضني .. ثم هذا الحب الذي زعمه لها أنه يشغل قلبه .. ورددت حديث صديقتها وسبب نعمتها تمار كورى ، وراحت تسائل نفسها: ما عقبي هذا الجهاد الطويل الذي كانت تتخذه سبباً فأصبحت تتخذه غرضا ..؟ وجعلت تتخيل هذه المرأة التي سحرت حبيبها فشغلته عنها ؟ من هي ؟ وما جمالها ؟ وما مالها ؟ وما جسمها ... وجعلت تقارن كل ذلك بنفسها ... ثم تبسمت حين ذكرت مرح صولوى والحصان الذي اشتراه لها وقوائمه البيض ...

واستيقظت في باكورة الصباح فدقت التليفون إلى ال(هـ . بلندل) ، وكلمتها إحدى العاملات فأخبرتها أنها لن تنزل إلى الشركة اليوم ... وعجبت العاملة لذلك أيما عجب ، إذ لم يحصل أن تأخرت المديرة خلال السنوات الخمس لأي سبب من الأسباب .. وانتظرت ديانا أن يكلمها صولوى في التلفون كما وعد فلم يصنع ، ولم يرسل أي خطاب منه يعلمها به ماذا انتهى إليه عزمه ...

ورن جرس التلفون فجأة فدق معه قلبها ...

— مس بلندل ؟ هنا محل المصور لشيريز ... لقد طلب إلينا شخص يدعى كليف صولوى أن نعطيه صورة لك عن إحدى السلبيات التي لك عندنا ، فهل نفعل ؟

— لا بأس ، ولكن هل أعطاكم عنوانه ؟

— كلا ... ولكنه حدد يوم الأربعاء لتسلم الصورة

— هل التي تكلمني هي المس موريس ؟

— أجل يا مس بلندل ، أنا هي ...

— أرجو إذا حضر المستر كليف لتسلم الصورة أن تدعيني في التليفون وأن تعطليه لديك حتى أحضر لمقابلته ، فهل تذكرين ! ؟

— بكل تأكيد يا مس !

وهكذا كان كليف صولوى أبعد في لندن منه في كندا ، لولا هذه المفاجأة التليفونية ...

* * *

ورن جرس التليفون يوم الأربعاء ، فدق قلب ديانا معه ... ولكن بشدة ...

— مس بلندل ... المستر كليف هنا ...

— أرجو أن تذكري ما أوصيتك به ... سأصل حالاً

— أخشى ألا نستطيع حجزه طويلا ... لقد احتج بأن عنده ميعاداً قريبا ...

وأهرعت ديانا السكينة إلى تحت ووجدت لحسن الحظ سيارة ركوب لدى الباب فطارت بها إلى الأستوديو ...

وا أسفاه ... لقد أخذ كليف الصورة ومضى لطيته ...

واسودت الدنيا في عيني ديانا ... وعادت في سيارتها تترنح في شوارع لندن ذات الضجيج ... ولم تسمج في عينها لندن كما سمجت ذلك اليوم ، ولم تكره صخبها كما كرهته الساعة ...

ثم لمحت كليف واقفاً عند عمود مصباح وسط الشارع المزدحم فجأة فأشارت إلى السائق فوقف ، ونزلت وهي لا تكاد تعي وذهبت من فورها إلى حبيبها ، غير عابئة بآلاف السيارات التي تطوى الشارع ... والتي أشار إليها الشرطي ذو الذراع البيضاء فوقفت جميعا ...

— صولوى ... ما هذا الظرف الذي تحمله ؟

وانتزعت منه الظرف الكبير الذي كان يحمل دعوى طلاقها فمزقته قصاصات قصاصات ، وبعثرت الوريقات في الشارع ... والناس ينظرون ويبتسمون ...

— صولوى ... سأتبعك ... سأتبعك ولو إلى القطب الجنوبي ... سأعيش معك ... لن نفترق ... ستكون هذه السنوات الخمس حلقة تجاربنا الأخيرة !

دريني خشبة

obeikandi.com